غيرة السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ على رسول الله ﷺ

نلمح هذه الغيرة في أكثر من موقف ونذكر منها :

- تحكي الصديقة بنت الصديق عن هذه الغيرة ـ على زوجها خاتم الأنبياء وسيد رسله ـ فتقول: «كُنْتُ أَغَارُ عَلَى اللَّاتِي وَهَبْن أَنْفُسَهُنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَقُولُ: وَتَهَبُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا؟ فَلَمَّا أَنْزَل اللَّهُ - عَزَّ وجَلَّ -**{تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ}**[1] قَالَتْ: قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَرَى رَبَّكَ إِلاَّ يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ»[2].

قال الإمام النووي: قولها: «مَا أَرَى رَبَّكَ إِلاَّ يُسَارِعُ لَكَ فِي هَوَاكَ» هو بفتح الهمزة من أرى، ومعناه يخفف عنك ويوسع عليك في الأمور ولهذا خيرك[3].

- وتقول أيضاً: مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ، مَا غِرْتُ عَلَى خَدِيجَةَ، وَمَا رَأَيْتُهَا وَلَكِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِر ذِكْرَهَا وَرُبَّمَا ذَبَحَ الشَّاةَ ثُمَّ يُقَطِّعُهَا أَعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعَثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ؛ فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا امْرَأَةٌ إِلَّا خَدِيجَةُ فَيَقُولُ: إِنَّهَا كَانَتْ،

---

(1) سورة الأحزاب من الآية:51.

(2) أخرجه مسلم، كتاب: الرضاع: باب: جواز هِبَتِها نَوْبَتها لِضَرتها، حديث رقم: 1464، طبعة بيت الأفكار الدولية، ص: 583.

(3) شرح النووي لصحيح مسلم .

وَكَانَتْ، وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ»[1].

قولها: «مَا غِرْتُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ». فيه ثبوت الغيرة وأنها غير مستنكر وقوعها من فاضلات النساء فضلاً عمن دونهن، وأن عائشة كانت تغار من نساء النبي ﷺ لكن كانت تغار من خديجة أكثر، وسبب ذلك كثرة ذكر النبي ﷺ إياها ـ كما بين الحديث السابق فقالت: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِر ذِكْرَهَا». وأصل غيرة المرأة من تخيل محبة غيرها أكثر منها، وكثرة الذكر تدل على كثرة المحبة، وقال القرطبي: مرادها بالذكر لها مدحها والثناء عليها[2].

ومن جملة غيرتها بشارة خديجة ببيت من لؤلؤ في الجنة ، ففي رواية للترمذي قولها : مَا حَسَدْتُ امرأةً مَا حَسَدْتُ خَدِيجَةَ، وَمَا تَزَوَّجَنِي رسولُ اللهِ ﷺ إلاَّ بَعْدَ مَا مَاتَتْ، وَذَلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَشَّرَهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلا نَصَبَ»[3].

فكان من جملة أسباب الغيرة اختصاص خديجة بهذه البشرى «ببيت من لؤلؤ في الجنة» مشعر بمزيد محبة من النبي ﷺ فيها.

---

(1) متفق عليه اللؤلؤ والمرجان ، وأخرجه البخاري في كتاب: مناقب الأنصار، باب تزويج النبي ﷺ خديجة وفضلها – واللفظ له – حديث رقم: 3818، كما أخرجه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: فضائل خديجة ـ رضي الله عنها ـ، حديث رقم: 6231.

(2) الحافظ بن حجر في الفتح كتاب: مناقب الأنصار ، ج7ص511، بتصرف.

(3) أخرجه الترمذي ، باب : فضل خديجة – رضي الله عنها –، قال أبو عيسَى: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صحيحٌ. «من قصب» قال: إنما يعني به قصب اللؤلؤ، حديث رقم: 4055.

‹ غيرتها من صفية ـ رضي الله عنها ـ:

فتقول: «قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، ـ تَعْنِي قَصِيرَةً ـ، فقَالَ: لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِماءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ، قالت وَحَكَيْتُ لَهُ إِنْسَاناً، فقالَ: مَا أُحِبُّ أَنِّي حَكَيْتُ إِنْسَاناً وَإِنَّ لِي كَذَا وكَذَا»[1].

قولها: «حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ»: أي من عيوبها البدنية «كذا وكذا»: كناية عن ذكر بعضها، «تعني»: أي تريد عائشة بقولها كذا وكذا «قصيرة»: أي كونها قصيرة، «فقال»: أي ﷺ «لو مُزِجَ»: بصيغة المجهول أي لو خلط «بها»: أي على فرض تجسيدها وتقدير كونها مائعاً، «البحر»: أي ماؤه، «لمزجته»: أي غلبته وغيرته وأفسدته، «قالت»: أي عائشة «وحكيت له»: للنبي ﷺ «إنساناً» أي فعلت مثل فعله تحقيراً له، يقال حكاه وحاكاه، وأكثر ما يستعمل في القبيح المحاكاة، «فقال»: ـ أي النبي ﷺ «ما أحب أني حكيت إنساناً» أي:

ما يسرني أن أتحدث بعيبه، أو ما يسرني أن أحاكيه بأن أفعل مثل قوله على وجه التنقيص، «وإن لي كذا وكذا»: أي ولو أعطت كذا وكذا من الدنيا أي شيئاً كثيراً على ذلك[2].

وأخرج أبو داوُد: عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ «مَا رَأَيْتُ صَانِعاً طَعَاماً مِثْلَ صَفِيَّةَ صَنَعَتْ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ طَعَاماً، فَبَعَثَتْ بِهِ فَأَخَذَنِي أَفْكَلٌ[3]

(1) أخرجه أبو داوُد، كتاب: الأدب، باب: في الغيبة، حديث رقم: 4875، واللفظ له، وأخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع، حديث رقم: 2555.

(2) عون المعبود، ج 13 ص 220.

(3) (أَفْكَل): بفتح الهمزة وإسكان الفاء وفتح الكاف ثم لام وزنه أفعل، والمعنى أخذتني رعدة الأفكل، وهي الرعدة من برد أو خوف، والمراد هنا أنها لما رأت حسن الطعام غارت وأخذتها مثل الرعدة.

فَكَسَرْتُ الإِنَاءَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ما كَفَّارَةُ مَا صَنَعْتُ؟ قالَ: إِنَاءٌ مِثْلُ إِنَاءٍ، وَطَعَامٌ مِثْلُ طَعَامٍ»[1].

وفي رواية للبخاري إلا أنه لم يذكر صاحبة القصعة والكاسرة لها والتي بينتها الرواية السابقة: فعن أنس ﷺ قال: «.....فَجَمَعَ النَبيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ ثم جَعَلَ يجمع فيها الطعَام الذي كان في الصَّحْفَةِ ويقول: غارَت أُمُّكُم .....»[2].

قال الحافظ بن حجر ـ رحمه الله ـ : قول النبي ﷺ: « غَارَتْ أُمُّكُم » فيه إشارة إلى عدم مؤاخذة الغيراء بما يصدر منها لأنها في تلك الحالة يكون عقلها محجوباً بشدة الغضب الذي أثارته الغيرة[3]، واعتذار منه ﷺ لئلا يحمل صنيعها على ما يذم، بل يجري على عادة الضرائر من الغيرة فإنها مركبة في النفس بحيث لا يقدر على دفعها[4].

‹ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قام النَّبيُّ ﷺ من فراشه في بعض الليل فظننت أنه يريد بعض نسائه فتبعته حتى قام على المقابر فقال: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا بِكُمْ لاحِقُونَ» ثم قال: «اللهمَّ لا تَحْرِمْنا أَجْرَهُمْ وَلا تَفْتِنَّا بَعْدَهُمْ» قالت: فالتفت فرآني، فقال: « وَيْحَها[5] لَوْ تَسْتَطِيعُ ما فَعَلَتْ»[6].

---

(1) أخرجه أبو داوُد في سننه، كتاب: الإجارة ، باب: فيمن أفسد شيئاً يغرم مثله، حديث رقم: 3568.

(2) أخرجه البخاري، كتاب النكاح، باب: الغيرة، حديث رقم: 5225.

(3) فتح الباري، كتاب النكاح، ج 10 ص 398.

(4) فتح الباري، كتاب المظالم، ج 5 ص 419.

(5) وَيْحٌ كلمة رحمة، وويل كلمة عذاب .

(6) أخرجه أحمد في المسند، حديث رقم: 24801، وأخرجه أبو يعلى في مسنده، حديث رقم: 4622.

قول السيدة عائشة – رضي الله عنها –: «فظننت أنه يريد بعض نسائه» هو بسبب غيرة أمنا وما كان لنبي الله أن لا يعدل بين نسائه وهو القائل: «مَنْ كَانَتْ لَهُ امْرَأَتَانِ فَمَالَ إِلَى إِحْدَاهُمَا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ وَشِقُّهُ مَائِلٌ»[1].

(1) أخرجه الدارمي، كتاب: النكاح، برقم: 2207، وأخرجه أبو داوُد، كتاب النكاح، برقم: 2133.

أعظم وأكبر حدث في حياة أمنا عائشة ـ رضي الله عنها ـ

حـادثة الإفك

مما لا شك فيه أن أعظم وأخطر حدث مرَّ بحياة عائشة مع نبينا محمد هو حادثة الإفك، فما أصعب وأشق على امرأة أن تتهم في أشرف ما لديها وهو عرضها، ولو لم يكن لعائشة من الفضائل إلا قصة الإفك لكفى بها فضلاً وعَلُوّ مجد، إذ نزل فيها من القرآن ما يتلى إلى يوم القيامة.

تحكي عائشة ـ رضي الله عنها ـ فتقول: كان رسولُ اللّه ﷺ إذا أرادَ سَفَراً أقرَعَ بينَ أزواجِهِ، فأيهن خَرجَ سهمُها خرجَ بها رسولُ الله ﷺ معه. قالت عائشة: فأقرَعَ بينَنا في غزوةٍ غزاها فخرجَ فيها سهمي، فخرجتُ معَ رسولِ الله ﷺ بعدَما أُنزِلَ الحجابُ، فكنتُ أُحمَلُ في هَودَجي[1] وأُنزَلُ فيه.

فسِرنا، حتى إذا فرغَ رسولُ الله ﷺ من غزوتِه تلكَ وَقفلَ، دَنَونا منَ المدينة قافلِينَ آذنَ ليلةً بالرَّحيلِ، فقمتُ حين آذَنُوا بالرحيل فمشيتُ حتى جاوَزتُ الجيشَ، فلما قَضيتُ شأني أقبلتُ إلى رحلي[2] فَلمستُ صدري فإذا عِقدٌ لي من جَزع ظَفار[3] قدِ انقطعَ، فَرَجَعْتُ فالتمسْتُ عِقْدِي فحبسني ابتغاؤُه،

(1) والهَوْدَجُ: من مَراكب النساء مُقَبَّبٌ وغير مُقَبَّب، وفي المحكم: يُصْنَعُ من العِصِيِّ ثم يجعل فوقه الخشب فيُقَبَّبُ. ـ لسان العرب ـ.

(2) رحلي: الرَّحْلُ: مَرْكَبٌ للبعيرِ، كالراحُولِ، ج: أرْحُلٌ ورِحالٌ، ومَسْكَنُكَ، وما تَسْتَصْحِبُهُ من الأَثاثِ. ـ القاموس المحيط ـ.

(3) الجزع خرز فيه سواد وبياض الواحد جزعة مثل تمر وتمرة. وحكي في ضبط ظفار وجهان كسر أوله وصرفه أو فتحه والبناء بوزن قطام. قال القاضي عياض: هو مدينة معروفة.

قالت: وأقبلَ الرَّهْطُ الذين كانوا يُرحِّلونِي فاحتَملوا هَودَجي فرَحَلوه على بعيري الذي كنت أَرْكَبُ عليه، وهم يَحسبونَ أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خِفافاً لم يَهبُلْنَ[1] ولم يَغشَهُنَّ اللحم، إنما يأكلن العُلْقَةَ[2] من الطعام ـ فلم يَستنكِرِ القومُ خِفةَ الهودج حينَ رفعوه وحملوه، وكنت جاريةً حديثةَ السِّنِّ، فبعثوا الجملَ فساروا، ووجدتُ عقدي بعد ما استمرَّ الجيش، فجئتُ مَنازِلَهم وليسَ بها منهم داعٍ ولا مُجيبٌ، فتيممتُ منزلي الذي كنت بهِ، وظننت أنهم سيَفقِدوني فيرجعونَ إليّ، فبينا أنا جالسةٌ في منزلي غلَبَتْني عيني فَنِمْتُ، وكان صَفوانُ بن المُعَطَّل السُّلميّ ثم الذَّكوانيّ من وراء الجيش، فأصبحَ عند منزلي، فرأى سوادَ إنسانٍ نائم، فعرَفني حينَ رآني، وكان رآني قبلَ الحِجَابِ، فاستيقظتُ باسترجاعهِ حينَ عَرفني، فَخَمَّرتُ وجهي بجلبَابي. واللّٰهِ ما تكلمنا بكلمة، ولاسمعتُ منه كلمةَ غيرَ استرجاعه، وهوَى حتى أناخَ راحِلتَهُ، فوطِئَ على يدِها، فقمت إليها فَرَكِبْتُها، فانطلق يَقود بي الراحلة حتى أتينا الجيشَ مُوغِرِينَ[3] في نحرِ الظهيرة وهم نُزولٌ.

قالت: فهلَكَ فِيَّ مَن هلك، وكان الذي تولَّى كِبرَ الإفك عبدُ اللّٰه بنُ أُبيٍّ بن سَلول، قال عروة: أُخبرتُ أنه كان يُشاع ويُتحدَّثُ به عندَه فيُقِرُّهُ وَيَستمِعُهُ ويستوشيه، وقال عروة أيضاً: لم يُسَمَّ من أهل الإفك أيضاً إلا حسّانُ بن ثابتٍ ومِسْطَحُ بن أُثاثةَ وحَمنة بنت جَحشٍ في ناسٍ آخَرين لاعلم لي بهم، غيرَ أنهم عُصبةٌ ـ كما قال اللّٰه تعالى ـ وإنَّ كِبرَ ذلك يقال عبدُ اللّٰه بن أُبيّ بن سَلولَ. قال عروة: كانت عائشة تَكرَه أن يُسَبَّ عندَها حَسّانُ وتقول: إنه الذي قال:

---

(1) يَهْبُلْنَ: يقال هبلهه وأهبله إذا أثقل وكثر لحمه وشحمه - عمدة القاري ج1 ص 864.

(2) العلقة: وكلُّ ما يُتَبَلَّغُ به من العيش فهو عُلْقةٌ، أَي تكتفي بالبُلْغةِ من الطعام.

(3) موغِرين في نحرِ الظهيرة وهم نُزول: أَي في وقت الهاجرة وقت توسط الشمس السماء. يقال: وَغَرَتِ الهاجرة وَغْراً أَي رَمِضَتْ واشتدّ حرّها، الوَغْرَةُ: شدَّةُ تَوَقُّدِ الحَرِّ.

فَـــإنَّ أَبِـــي وَوَالِـــــدَهُ وعِـرضِـــي
لِـعِـرْضِ مُحَـمَّـدٍ مِـنْـكُـم وِقَـــاءُ

قالت عائشة: فقَدِمنا المدينةَ، فاشتكيتُ حينَ قدِمتُ شهراً، والناسُ يُفِيضونَ في قولِ أصحابِ الإفك، لا أشعُرُ بشيءٍ من ذلك، وهو يُريبُني في وَجعي أني لا أعرِفُ من رسولِ اللهِ ﷺ اللُّطفَ الذي كنتُ أرَى منه حينَ أشتكي، إنما يَدخُلُ عليَّ رسول الله ﷺ فيُسلِّم ثم يقول: كيْفَ تِيكُمْ؟[1] ثمَّ ينصرف، فذلكَ يريبُني ولاأشعُرُ بالشَّرِّ، حتى خرَجتُ حينَ نَقَهت، فخَرَجتُ معَ أمِّ مِسطحٍ قِبَلَ المَناصع[2] ـ وكان مُتَبرَّزَنَا، وكنّا لانخرجُ إلاّ ليلاً إلى ليل ـ وذلكَ قبلَ أن نتَّخذَ الكُنُفَ[3] قريباً من بيوتِنا، قالت: وأمرُنا أمرُ العربِ الأُوَل في البرِّيةِ قِبَلَ الغائط، وكنا نَتأذَّى بالكُنُفِ أن نَتَّخذها عندَ بُيوتنا. قالت: فانطَلَقتُ أنا وأُمُّ مِسطحٍ - وهي ابنةُ أبي رُهم بن المطلبِ بن عبدِ مَناف، وأُمُّها بنتُ صَخر بن عامرٍ خالةُ أبي بكر الصدِّيق، وابنها مِسطحُ بن أُثاثةَ بن عبّاد بن المطّلب - فأقبلتُ أنا وأُمُّ مِسطح قِبَلَ بيتي حينَ فرغنا من شأننا، فعَثَرتْ أمُّ مِسطحٍ في مِرْطِها[4] فقالت: تَعِسَ مسطحٌ، فقلت لها: بئسَ ما قلتِ، أتسُبِّينَ رجلاً شهِدَ بَدراً؟ فقالت: أي هَنْتاهُ[5]، أَولم تسمَعي ما قال؟ قالت: وقلتُ ما قال؟ فأخبرَتْني بقولِ أهلِ الإفك. قالت: فازدَدتُ

(1) تِيكُم: هي إشارة إلى المؤنثة كذلكم في المذكر.

(2) المَناصِعُ: المواضعُ التي يُتَخَلَّى فيها لبَوْلٍ أو غائطٍ أو لحاجة، الواحد مَنْصَعٌ، لأنه يُبَرَزُ إليها ويُظْهَرُ.

(3) الكُنُف: الكاف والنون والفاء أصلٌ صحيح واحد يدلُّ على سَتْر. من ذلك الكَنِيف، وهو السَّاتر، والمراد المراحيض التي تُتخذ في البيوت .

(4) المرط: رداءٌ من صُوفٍ أو خَزٍّ أو كَتّان، وجَمْعُه: مُرُوط.

(5) هنتاه: أي يا هذه، وتُفتح النونُ وتسكن، وتضم الهاء الأخيرة وتسكن، وقيل: معنى يا هَنْتاه يا بَلْهاء، كأنها نُسبت إلى قلة المعرفة بمكايد الناس وشُرُورهم.

مرَضاً على مرَضي. فلما رَجَعتُ إلى بيتي دَخلَ عليَّ رسولُ اللّه ﷺ، فسلم ثمَّ قال: كيفَ تِيكم؟ فقلتُ له: أتأذنُ لي أن آتي أبوَيَّ؟ قالت: وأريدُ أن أستَيقنَ الخبرَ مِن قِبَلِهما. قالت: فأذِنَ لي رسولُ اللّه ﷺ، فقلتُ لأمي: يا أُمَّتاهُ، ماذا يَتحدَّثُ الناسُ؟ قالت: يابنية، هَوِّني عليك. فواللّهِ لقلما كانتِ امرأةٌ قطُّ وَضيئةً عندَ رجلٍ يحبُّها لها ضَرائرُ إلاّ أكثرْنَ عليها. قالت: فقلت: سُبحانَ اللّه، أوَ لقد تحدَّثَ الناسُ بهذا؟

قالت: فبكيتُ تلكَ الليلةَ حتى أصبحتُ لا يَرْقأُ[1] لي دَمعٌ ولا أكتَحلُ بنوم، ثمَّ أصبحتُ أبكي. قالت: ودَعا رسولُ اللّه ﷺ عليَّ بن أبي طالب ﷺ وأُسامة بن زيدٍ حِينَ استَلْبَثَ الوحيُ يسألُهُمَا ويَسْتَشِيرُهُمَا في فِراقِ أهْلِهِ.

قالت: فأما أُسامة فأشارَ على رسولِ اللّه ﷺ بالذي يعلم من براءةِ أهله وبالذي يَعلَم لهم في نفسهِ، فقال أسامة: أهلُكَ، ولا نعلمُ إلا خيراً، وأما عليٌّ فقال: يارسولَ اللّه، لم يُضيِّقِ اللّهُ عليك، والنساءُ سِواها كثير، وسَلِ الجاريةَ تصْدُقْك. قالت: فدعا رسولُ اللّهِ ﷺ بَريرةَ فقال: أيْ بَريرةُ، هل رأيتِ من شيءٍ يَريبُكِ؟ قالت له بريرة: والذي بعثَكَ بالحقِّ، مارأيتُ عليها أمراً قطُّ أغمِصُهُ[2]، غيرَ أنها جاريةٌ حديثة السنِّ تنامُ عن عَجين أهلِها فتأتي الداجِنُ[3] فتأكله. قالت: فقامَ رسولُ اللّهِ ﷺ مِن يومهِ فاستعذَرَ من عبدِ اللّهِ بن أُبيّ ـ وهوَ على المنبرِ ـ فقال: يا معشرَ المسلمين مَن يَعذِرني[4]

(1) يرقأ: رَقَأَت الدَّمْعَةُ تَرْقَأُ رَقْأً ورُقُوءاً: جَفتْ وانْقَطَعَتْ. ورَقَأَ الدمُ والعِرْقُ يَرْقَأُ ورُقُوءاً: ارتفَع، والعِرْقُ سَكَنَ وانْقَطَعَ. وأَرْقَأَهُ هو وأَرْقَأَهُ الله: سَكَّنه.

(2) أَغْمِصُهُ: غَمَصَ عليه قولاً قاله: عابَه عليه، أَي أَعيبُها به وأَطْعَنُ به عليها.

(3) الداجِنُ: وهي الشاة التي تَعلفها الناسُ في منازلهم.

(4) يُقال: أَعْذَرَ من نفسه إذا أَمْكَن منها، وقال النووي: ومعنى من يعذرني من يقوم بعذري إن كافأته على قبيح فعاله ولا يلومني، وقيل معناه من ينصرني والعذير الناصر.

من رجلٍ قد بلَغَني عنه أذاهُ في أهلي، واللّهِ ماعلمتُ على أهلي إلاّ خيراً. ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلاّ خيراً، ومايَدخلُ على أهلي إلاّ معي. قالت: فقام سعدُ بن مُعاذٍ - أخو بني عبد الأَشْهَلِ ـ فقال: أنا يارسولَ اللّه أعذِرك، فإن كان منَ الأوس ضرَبتُ عُنقه، وإن كان من إخواننا منَ الخزرَج أمرتَنا ففعلنا أمرَك. قالت: فقام رجلٌ منَ الخزرج - وكانت أُمُّ حسّانَ بنتَ عمه من فخذه وهوَ سعدُ بن عُبادةَ وهو سيِّد الخزرج. قالت: وكان قبلَ ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتمَلَته الحميَّة ـ فقال لسعد: كذَبتَ لعَمْرُ اللّه، لاتقتلهُ ولا تقدِرُ على قَتله، ولو كان من رَهطِكَ ما أحَبَبتَ أن يُقتَل. فقام أُسَيدُ بن حُضير - وهو ابن عم سعد - فقال لسعد بن عُبادةَ: كذبتَ لعمر اللّه، لنقتلَنَّه، فإنكَ منافقٌ تجادِل عن المنافقين. قالت: فثارَ الحيَّانِ الأوس والخزرج ـ حتى هـمُّوا أن يَقتتِلوا ورسولُ اللّه ﷺ قائمٌ على المنبر. قالت: فلم يَزَل رسولُ اللّه ﷺ يُخفِّضُهم حتى سَكتوا وسكت. قالت: فبكيت يومي ذلكَ كلهُ لا يَرقأُ لي دمع ولا أكتحلُ بنوم. قالت: وأصبحَ أبَوايَ عندي وقد بَكيتُ ليلَتَين ويوماً لا يرقأ لي دمعٌ ولا أكتحلُ بنوم، حتى إنِّي لأظنُّ أنَّ البُكاء فالقٌ كبِدي. فبينا أبوايَ جالِسان عندي وأنا أبكي استأذنَتْ عليَّ امرأةٌ منَ الأنصار، فأذِنتُ لها، فجلَسَت تبكي معي. قالت: فبينا نحن على ذلك دخلَ رسولُ اللّه ﷺ علينا فسلمَ ثمَّ جلَس.

قالت: ولم يَجلِسْ عندي منذ قِيلَ ما قيلَ قَبلَها، ولقد لبث شهراً لايُوحى إليه في شأني بشيء. قالت: فتشهَّدَ رسولُ اللّه ﷺ حين جلسَ ثم قال: أما بعدُ ياعائشة إنه بلغَني عنكِ كذا وكذا، فإن كنتِ بريئةً فَسَيُبَرِّئكِ اللّه، وإن كنتِ ألممتِ بذنب فاستغفري اللّه وتوبي إليه، فإنَّ العبدَ إذا اعترفَ ثم

تابَ تاب اللّه عليه. قالت: فلما قضى رسولُ اللّه ﷺ مَقالَته قَلَصَ دمعي[1] حتى ما أُحِسُّ منه قَطرة، فقلتُ لأبي: أجِبْ رسولَ اللّهِ ﷺ عني فيما قال، فقال أبي: واللّهِ ما أدري ما أقول لرسولِ اللّه ﷺ فقلت لأمي: أجيبي رسولَ اللّه ﷺ فيما قال، قالت أمي: واللّه ما أدري ما أقول لرسول اللّهِ ﷺ فقلتُ ـ وأنا جاريةٌ حديثةُ السن لا أقرأ من القرآن كثيراً ـ: إني واللّه لقد علمتُ: لقد سمعتم هذا الحديثَ حتى استقرَّ في أنفُسِكم وصدقتم به، فلَئن قلت لكم إني بريئة ـ لاتُصدقوني ولئنِ اعترفت لكم بأمرٍ ـ واللّه يعلم أني منه بريئة ـ لتُصَدِّقُنّي، فواللّهِ لاأجِدُ لي ولكم مثلاً إلاّ أبا يوسفَ حين قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ[2]﴾ ثمَّ تحوَّلتُ فاضطجعت على فراشي، واللّه يعلم أني حينئذٍ بريئة، وأنَّ اللّه مبرِّئي ببراءتي، ولكنِّي واللّهِ ما كنت أظنُّ أنَّ اللّه تعالى منزلٌ في شأني وحياً يُتلى، لَشأني في نفسي كان أحقرَ من أن يتكلم اللّه في بأمر، ولكن كنت أرجو أن يَرى رسولُ اللّه ﷺ في النوم رُؤيا يُبَرِّئني اللّه بها، فواللّه مارام رسولُ اللّه ﷺ مجلِسه ولاخرَج أحدٌ من أهل البيت حتى أنزلَ عليه، فأخَذهُ ما كان يأخذهُ منَ البُرَحاءِ[3]، حتى إنه لَيتحدَّرُ منهُ العرَق مثلُ الجُمان[4] ـ وهوَ في يوم شاتٍ ـ من ثِقَلِ القولِ الذي أنزلَ عليهِ. قالت: فسُرِّيَ عن رسولِ اللّه ﷺ وهو يَضحكُ، فكانت أوَّل كلمةٍ تكلمَ بها أن قال: يا عائشة، أمّا اللّه فقد برأكِ.

(1) قلص دمعي: قَلَصَ الشيءُ يَقْلِصُ قُلُوصاً أي انضَمَّ إلى أصله، وقَلَّصَ الغَديرُ تقليصاً: ذَهَبَ ماؤه إلاّ قليلاً، والمراد ذهب الدمع وارتفع من شدة ما نزل من دمع.

(2) سورة يوسف: من الآية 18.

(3) البرحاء: الشِّدّة والمشقة.

(4) الجمان: هو اللؤلؤُ الصِّغارُ، وقيل: حَبٌّ يُتَّخذ من الفضة أَمثال اللؤلؤ.

قالت: فقالت لي أمي: قومي إليه، فقلت: لا واللهِ لا أقوم إليه، فإني لا أحمدُ إلاّ اللهَ ـ عز وجل ـ قالت: وأنزلَ اللهُ تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ[1]﴾. العشرَ الآيات، ثم أنزلَ اللهُ تعالى هذا في براءتي. قال أبو بكرٍ الصدِّيقُ ـ وكانَ يُنفِقُ على مِسطحِ بن أثاثةَ لقرابتهِ منهُ وفقره ـ: واللهِ لا أنفِقُ على مِسطحٍ شيئاً أبداً بعدَ الذي قال لعائشة ما قال. فأنزَلَ اللهُ تعالى: ﴿وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ[2]﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ[2] »[3]﴾.

(1) سورة النور: من الآية 11.

(2) سورة النور : من الآية 22.

(3) أخرجه البخاري، كتاب: المغازي، باب: حَدِيثِ الْإِفْك، حديث رقم: 4141.